مدخل إلى المدارس اللسانية
أ/ قطاف
قسم اللغة العربية - بجاية

اللسانيات التوليدية التحويلية
(linguistique générative transformationnelle)

أحدث **تشومسكي** ثورة لغوية هامة – من خلال كتابه الشهير « البنى التركيبية » (1954 م) – أطلق عليها « النظرية التوليدية التحويلية »، والتي شكّلت اتجاها لسانيا قائما بذاته؛ من حيث آليات الاشتغال، ومن حيث الجهاز المفهومي الضخم الذي يمتح أسسه ومرجعياته من المعين الثرّ للعلوم الآتية:(علم النفس، اللسانيات القديمة، النظريات العقلية...).

من هنا يبدو إذن، أن التحول الإبستمولوجي في اللسانيات التوليدية لم يقف عند حدود المفاهيم الواصفة فقط، بل طال النظرية اللسانية برمتها؛ وسعى إلى تحديد ما يمكن أن يكون عليه الدرس اللساني ، وهو تحول تمثل في تجاوز الاتجاه الوصفي الطاغي آنذاك؛ خاصة في اللسانيات السوسيرية إلى التفسير الذي يعنى بالكفاية اللغوية باعتبارها نسقا معرفيا.

إذن في أي سياق برزت هذه النظرية وما هي مفاهيمها المائزة؟

1-السياق النظري للنحو التوليدي:

1-1-انتقاد وتجريح الاتجاه البنيوي:

ارتبط الدرس اللساني لردح طويل من الزمن بعلم الإناسة Anthropologie، نتيجة الاهتمام بوصف اللغات المفقودة (الهنود الحمر)؛ حيث شكل المنهج الوصفي الوسيلة والغاية في ذات الوقت. ولما ظهر **تشومسكي** رفض هذا المنهج (الوصفي) الذي لا يرقى إلا على السطح اللغوي ، ولا يغوص في الأعماق؛ محولا الإنسان إلى آلة تحركها نواميس حتمية خاضعة لظروف محددة، مؤكدا – بواسطة بديل جديد – على ضرورة الاهتمام بالجهاز الداخلي للمتكلمين، يقول الدكتور **عبد القادر الفاسي الفهري**: (قاد تشومسكي ثورة علمية تقوم على التفكير في اللغة، أفرز مجموعة من الإشكالات التي يجب أن يعتني بها اللغوي وضع منها الاهتمام بالجهاز الداخلي للمتكلمين، عوض الاهتمام بسلوكهم الفعلي).

ظلّ المنهج الوصفي مسيطرا على اللسانيات الأوروبية والأمريكية حتى سنة 1957 ، حيث ظهر تيار جديد على يد **نوعم تشومسكي** (Noam chomsky) في مؤلفه "البنى التركيبية "، معلنا بذلك عن منهج جديد في دراسة اللغة ، أطلق عليه اسم "القواعد التوليدية التحويلية ".

تغيرت وجهة النظر المنهجية تجاه موضوع اللسانيات، إذ راح التوليديون ينتقدون وجهة النظر البنيوية ، ويحكمون عليها بأنها غير كافية لتفسير وتعليل ظاهرة التبليغ اللغوي في جملتها ، لأنها تحصر اللغة في نطاق آلي ضيّق ، وتنظر اليها بصفتها قوانين شكلية جامدة ، وتنظر الى المتكلم إزاءها على انه فاعل سلبي.

لم تلق البنيوية النجاح اللازم ،لأنها اهتمت بالبنية السطحية فقط ، اكتفت بوصف التراكيب اللغوية وتحليلها بطريقة شكلية ، فلم تحاول تحديد القواعد التي يلجأ إليها المتكلم عند تكوين جمل غير محدودة ، ومن ثمّة فإنها لم تعر أي اعتبار للكفاءة اللغوية . ،ولم تتمكن بذلك من وضع قوانين شاملة وتعميمات عميقة ، وفي المقابل فإنّ القواعد التوليدية التحويلية لم تتوقف عند وصف اللغة ؛ بل تعدّته إلى تحليلها ، وتفسيرها ، واستنباط القواعد العامة التي تحكمها.

ومن هنا كان ردّ فعل التوليديين في مسألة تحديد موضوع اللسانيات هو عدم الاكتفاء بالوصف المجرد والتصنيف النموذجي لوحدات اللغة ، وتحديدها داخل نظامها ؛ بل تجاوز ذلك الى الاهتمام بكيفية حدوث اللغة

منتقلة من الموجود بالقوة (اللغة) الى الموجود بالفعل (الكلام) ؛ أي الكشف عن الحركية الداخلية للغة التي بامكانها ان تفسر سر الطاقة الابداعية الخلاقة عند الفرد المتكلم.

ويرى التوليديون أنّ منهج الدراسة البنيوية يقوم على تصور تقليصي Réductionniste للغة ، إذ لا يراعي في دراستها سوى القواعد الشكلية الرابطة بين العلامات .وفي هذا تقليص من حجم اللغة الحقيقي، ومن فاعليتها . ومن هنا فهم يرون أنّ الدراسة البنيوية تركت فراغا هائلا كان ينبغي دراسته والاهتمام به.

2-1-تقويض النظرية السلوكية:

شكلت السلوكية منذ بداية ثلاثينيات القرن الماضي، المذهب الأكثر انتشارا بآرائه ومفاهيمه الكثيرة، وأساليبه التي أثرت بشكل لافت في مسار الدرس اللساني يومئذ، حيث كان أصحاب هذا الاتجاه (السلوكية) يعتبرون اللغة مجرد « عادات كلامية مكتسبة » خاضعة لقانون الإشراط، تحددها مثيرات الهيئة الخارجية. وبالتالي تصبح اللغة عندهم شكلا من أشكالا السلوك الإنساني، كالأكل والنوم...

وحسب هذا الاتجاه أيضا، فإن السلوك اللغوي للإنسان شبيه بالسلوك الحيواني، فكلاهما سلوك آلي ميكانيكي إشراطي خاضع لثنائية مثير / استجابة.

ومن بين أبرز الدراسات السلوكية التي انتقدها تشومسكي نظرية بلومفيلد الإشراطية ، وما تعتمد من مفاهيم: المثير / الاستجابة / التعزيز لتفسير ظاهرة اللغة عند الإنسان، ونظرية "سكينر" من خلال كتابه "السلوك اللغوي" الذي أكد فيه على أن مفهوم التعزيز يشكل الفكرة المركزية في مسألة اكتساب اللغات، إذ تتدخل البيئة المحيطة بالطفل (المدرسة، الأسرة، المجتمع، الشارع...) عن طريق قيامها بعمليات التعزيز المتجلية في إمداد الطفل بالمعطيات اللغوية الخاضعة للإعادة والترديد والمحاكاة ثم التصحيح من أجل تثبيتها وترسيخها في ذهنه (الطفل) بكيفية آلية كعادات كلامية محصلة.

استنادا على ما أنف، ستخضع كل المقولات السلوكية في مقاربة الظاهرة اللغوية لمراجعة صارمة من طرف تشومسكي، انصبت بالأساس على تقويض الآراء الواردة في كتاب "السلوك اللغوي" (1959) لـــ: "سكينر" والتي ستؤول نتائجها إلى طمس كل منجزات البنيوية السلوكية، والإعلان عن ميلاد مرحلة جديدة من علم نفس – لساني، وآراء متقدمة في قضية اكتساب اللغة.

2- تحديدات مفهومية:

تشكّل "النحو – التوليد – التحويل" المصطلحات المشكلة لهذه النظرية، وفيما يلي شرحها :

2-1- النحو Grammaire: استعمل هذا المفهوم في اللسانيات التوليدية للدلالة على معنيين اثنين:

أ- معنى عام: يقصد به مجموع قواعد اللغة التي يمتلكها ضمنيا كل فرد متكلم؛ بطريقة لا شعورية؛ وهي قواعد قائمة في الذهن في صورة ملكة بيولوجية، وعلى اللسانيات أن تعنى بصورنتها وصوغها في إطار نموذج صوري .

ب- معنى خاص: يصبح فيه النحو عبارة عن نظرية (Théorie) يقوم الدارس ببنائها؛ أي وصف ومعالجة القواعد التي يتوفر عليها المتكلم.

وبناء على هذين المعنيين يمكن القول؛ إن النحو كما حدده تشومسكي هو آلية تصف وتفسر في آن واحد؛ يصف حينما يبين طبيعة القواعد الضمنية في ملكة المتكلم – المستمع المثالي، ويفسر عندما يقف على طبيعة النواميس، المتحكمة في لغة معينة.

وبالتالي يصبح النحو في هذه النظرية (التوليدية) :« نظرية صورية استنباطية تنتج الجمل النحوية (ما يدعى بالقدرة التوليدية الضعيفة) وتخصص أوصافا بنيوية لها (القدرة التوليدية القوية) .

2-2-التوليد Génération:

يتحدد هذا المفهوم بكونه استنباطا لمستوى لغوي من مستوى لغوي أعلى منه، وفق ما يسميه تشومسكي " قواعد إعادة الكتابة " ، إلى أن نصل إلى المستوى الأدنى الذي يؤدي الربط بين عناصره إلى الحصول على جملة قاعدية صحيحة التركيب، أي أن امتلاك المتكلم لهذه القواعد قمين بجعله قادرا على إنتاج عدد لا متناهي من الجمل بواسطة تطبيق هذه القواعد المحدودة. إذ من المتناهي نحصل على اللامتناهي.

يدل مصطلح التوليد على الجانب الإبداعي في اللغة ؛ أي القدرة التي يمتلكها كل إنسان لتكوين وفهم عدد لا متناهٍ من الجمل في لغته الأم ، بما فيها الجمل التي لم يسمعها من قبل ، وكل هذا يصدر بطريقة طبيعية دون شعور منه بأنه يطبق قواعد نحوية معينة .

وقد أولى **تشومسكي** هذه القدرة الابداعية (creativité)اهتماما كبيرا ، وأكّد على أنّ النظرية النحوية لا بدّ أن تعكس قدرة جميع المتكلمين باللغة .والنحو التوليدي في نظره لا بُدّ ان يولّد كل الجمل النحوية (grmmatical) في اللغة ، أي أننا باتباع قواعد نحوية يمكننا تكوين كل الجمل الممكنة في اللغة.

يوضّح **بالمر** بأن القواعد التوليدية تختلف عن القواعد التقليدية والبنيوية في أنّها لم تهتمّ بالجمل الفعليّة أو الحقيقية (actual) ، اي الجمل التي وردت من قبل ، بل بالجمل الممكنة (possible)،التي يمكن أن ترد ، أو يمكن أن تكون قد وردت من قبل .وقد لجأ تشومسكي إلى هذا التمييز لأن المدونة (corpus) مهما كان حجمها لا تضمّ إلا عددا محدودا من الجمل. في حين أنّ اللغة تتكون من عدد لا متناه من الجمل.

2-3-التحويل Transformation:

نقصد بالتحويل عملية نقل المستوى العميق لجملة ما إلى مستواها الظاهر، أو نقل خيط في الجملة إلى خيط آخر للكشف عن المعاني الضمنية لهذه الجملة، أو هو إماطة اللثام على البنى العميقة حتى تتكشف البنى السطحية.

وبناء عليه، نستشف أن **تشومسكي** قد ربط بين هذه المفاهيم الثلاثة ليسم نظريته اللسانية، التي القصد منها وصف قدرة المتكلم السامع المثالي المنتمي إلى عشيرة لغوية متجانسة وصفا بنيويا وتفسيرها .

وتكمن مهمة قواعده في تحويل البنى العميقة إلى بنى متوسطة وسطحية عن طريق تطبيق أكثر من عملية تحويلية .ميّز تشومسكي في كتابه البنى التركيبية (1957) بين الجملة النواة (Noyan) والجملة المشتقة عنها التي أطلق عليها الجملة المحوّلة () ووصف الجملة النواة بانها بسيطة وتامة وصريحة وايجابية ومبنية للمعلوم .والجملة المحولة بانها تنقصها خاصة من خواص الجملة النواة وتكون اما استفهاما او امرا او نفيا او معطوفة (Coordonnée) او متبعة (Subordination) أو مدمجة (Intégrée) . يرى تشومسكي بان التحويل يكشف لنا بطريقة جلية كيف تتحول الجملة النواة إلى عدد من الجمل المحوّلة .

وبشكل عام ، فإنّ الطريقة المتبعة هي أنّه بعد تطبيق القواعد المُركبيّة (Règles syntagmatiques) تطبّق مباشرة القواعد التحويلية (Règles transformationnelles) على السلسلة النهائية لتشكيل الجمل المرادة . وهي بذلك لا تخرج من اطار هذه العمليات المستعملة بكثرة في الرياضيات : الحذف (Suppression, Elimination، لكن المصطلح اللساني المشهور هو : Ellipse) ، الاحلال(Remplacement) ، التوسع(Extension = Elargissement) ، الاختصار (Concision = Abréviation) ، الزيادة (Surplus = Excès = Relèvement) ،اعادة الترتيب (Réorganisation= Remise en ordre).

أورد تشومسكي في كتابه " البنى التركيبية " الغاية من تطبيق القواعد التوليدية التحويلية ، ذلك أنها تساعدنا على التمييز بين الجمل التي تبدو متماثلة ، ولكنها في الأصل مختلفة ، والجمل التي تبدو مختلفة ، ولكنها في الواقع متماثلة. و علاوة على ذلك فإنها تساعد في فك الغموض الذي يكتنف عددا كبيرا من الجمل، التي يمكن أن يُفهَم منها معنيان مختلفان.

3- الترسانة المفهومية للاتجاه التوليدي:

تسعى كل نظرية جديدة إلى إثبات مكانتها ضمن الساحة المعرفية التي تشتغل فيها. وذلك باجتراح جملة من المفاهيم الجديدة التي تمنحها الفرادة والتميز من جهة، وتشكيل سند نظري تقوم عليه ويكسبها مقبولية علمية من جهة أخرى. وهذا ما فعلته النظرية التوليدية التي استطاع مؤسسها وضع جهاز مفهومي ضخم ومائز، يعد حصيلة تشرب لكل ما كان سائدا في مجال الدرس اللساني من اتجاهات ومدارس؛ ومن هذه المفاهيم نجد:

3-1- القدرة / الكفاية: Compétence:

حدد العالم اللغوي **"نيكولارويت"** الكفاءة قائلا:(كل إنسان بالغ يتكلم لغة ما، قادر في كل لحظة أن يصدر بشكل تلقائي، أو أن يتلقى ويفهم عددا لا متناهيا من الجمل التركيبية لم يسبق له فقط أن نطق بمعظمها أو سمع بعضها. كل إنسان يتكلم يملك إذن بعض القدرات الخاصة جدا التي يمكن أن نسميها كفاءة).

من خلال هذا القول، يتبدى جليا أن الكفاية / القدرة هي معرفة المتكلم – المستمع المثالي الضمنية بلغته منذ الطفولة، والتي تسمح له بتوليد جمل جديدة لم يسبق له أن سمع بها، فتشومسكي ينعتها بأنها مفهوم مجرد، قائم في الذهن، إذ تعد بمثابة نظام مجرد – مكون من قواعد تحدد الشكل والمعنى الأصلي لعدد غير متناه من الجمل الممكنة.

ويتجلى الهدف الرئيس من دراسة القدرة اللغوية في وضع منظومة من العناصر المترابطة (نسق) من القواعد تساعد على توليد واستنباط كل العبارات أو الجمل في اللغة. وهذا النسق من القواعد يقوم على ثلاث ركائز: المستوى التركيبي، المستوى الفونولوجي، ثم المستوى الدلالي.

3-2-الإنجاز اللغوي / الأداء الكلامي Performance:

يقصد بالأداء / الإنجاز: (مدى أمانة الترجمة الفعلية لتعليمات القواعد أثناء إنتاج الكلام المحقق أو فهم المسموع من الكلام).

إن الأداء الكلامي هو الاستعمال الفعلي للقدرة اللغوية، أي تحقيق الكفاءة اللغوية في جمل وأقوال يمكن ملاحظتها بكيفية مباشرة ملموسة، غير أن هذا الإنجاز يبقى نسبيا لاختلافه من شخص لآخر حسب اختلاف

موضوع الكلام ومكانه، وثقافة الفرد، ومحيطه الاجتماعي والنفسي، كما يتأثر بعوامل خارجة عن نطاق اللغة؛ كالانتباه، التعب، الانفعال، والذاكرة.

و يرتبط مفهوم الكفاءة (competence) والأداء(performance) بمفهومي اللغة (langue) والكلام (parole) الذين استحدثهما سوسير ، وتتمثل الكفاءة في المعرفة اللغوية الباطنية للفرد ؛ أي مجموعة القواعد التي تعلّمها ، أمّا الأداء فهو الاستعمال الفعلي للغة في المواقف الحقيقية . فالكفاءة إذن نظام عقلي تحتي قابع خلف السلوك الفعلي ، وعليه فهو غير قابل للدراسة التجريبية المباشرة ، وهكذا فإنّ الوسيلة الوحيدة للوصول الى هذا النظام ودراسته هي الاستبطان (introspection)، إذ يساعدنا على إصدار أحكام على كلّ الجمل من حيث صحتها النحوية ومقبوليتها.

وحسب **تشومسكي** فإنّ اللساني وصاحب اللغة يتمتعان بمقدرة لغوية هو ما سمّاه بـ" الحدس " ، تمكنهما من معرفة الجمل من حيث استحالتها أو استقامتها .

ويرى أنّ جلّ الناس –تقريبا- يمتلكون "مقدرة " لغوية تُمكنهم من استعمال اللغة استعمالا جيّدا ، ولكنهم عند تطبيق هذه المقدرة خلال الكلام أو التلقي قد يحتاجون إلى وقت للتفكير، وقد يرتكبون أخطاء . فالناس- أثناء التحدث- قد يتردّدون ، يُتأتئون ، يُكررون ، وتصدر عنهم زلّات اللسان .أمّا أثناء التلقي فقد لا يفهمون بعض الجمل والمفردات ، وتغيب عنهم أشياء كثيرة . كلّ هذا دفع **تشومسكي** إلى التمييز بين الكفاءة والأداء.

و بالنسبة للساني، فإنّ الكفاءة -أي معرفة الفرد بقواعد لغته- هي موضوع الدراسة. وإذا كان اللساني لا يمكنه أن يدرس اللغة إلا بفحص ما يقوله الفرد ، فإنّ هذه الأقوال الفعلية التي هي جزء من أدائه لا تكوّن الا جزءا من الدليل على كفاءته ، ويكون الحدس -المتمثل في الأحكام التي يصدرها الفرد- الجزء الثاني من هذه الكفاءة. وبهذا التركيز على دراسة الكفاءة يكون تشومسكي قد جعل من اللسانيات شعبة من علم النفس المعرفي(الإدراكي) .

3-3-البنية العميقة:

تتحدد البنية العميقة بأنها التفسير الدلالي للجملة ، أي القواعد والبنى الأساسية التي يمكن تحويلها لتكون جملة اللغة، إذن فهي مجموع القواعد المخزنة في ذهن المتكلم / السامع المثالي، والمتمظهرة في شكل بنى سطحية متعددة؛ أي أنها إفراز للمعنى، ما دام دور النحو التوليدي، التحرك داخليا من العمق إلى السطح اعتمادا على القوانين المحققة لهذا التحول.

وتتميز البنية العميقة بجملة خصائص هي كالتالي:

- تمثل البنى الأولية المولدة في قواعد النحو عن طريق المستوى التركيبي والمستوى المعجمي.
- إنها المجال الوحيد لإفراغ الملء المعجمي.
- هي كل البنى الخاضعة للتأويل الدلالي.
- هي البنى القابلة للتحويل إلى بنى سطحية سليمة .

3-4- البنية السطحية:

تعرف البنية السطحية بأنها ذلك التمثيل الصوتي للجملة، أي أنها البنية الظاهرة للعيان عبر توالي الكلمات وانتظامها في سلك الجملة من حيث النطق. فهي التركيب اللفظي المشاهد الخاضع لتسلسل نحوي معين، يقول د. التهامي الراجي: (هي في اصطلاح التوليديين بنية الجملة كما هي منجزة فعلا، هي إذن البنية المرئية، البنية الملاحظية التي يمكن أن توصف مثلا بألفاظ "المكونات الأولية").

نستشف مما سبق أن البنية السطحية تمثل الحالة النهائية والأخيرة في التاريخ التحويلي للتوليد.

إنّ لكل جملة بنيتين : فأما العميقة فهي شكل تجريدي داخلي يعكس العمليات الفكرية ، ويمثل التفسير الدلالي الذي تشتق منه البنية السطحية من خلال سلسلة من الاجراءات التحويلية . وأما البنية السطحية فتمثل الجملة كما هي في صورتها النهائية المستعملة في عملية التواصل ؛ أي في شكلها الفيزيائي بوصفها مجموعة من الاصوات او الرموز. وحسب التحويليين فإنّ هاتين الجملتين (كتب أحمد الدرس) و(كتب الدرس من قبل أحمد)لا تختلفان إلا من الناحية التركيبية ، أي على مستوى البنية السطحية ، بينما هما متطابقتان على مستوى البنية العميقة.

ارتكز المنهج البنيوي على وصف البنية السطحية لكل مادة لغوية قابلة للملاحظة ،بدءا من النظام الصوتي وصولا الى النظام النحوي ، والحرص على عدم الخلط بين المستويات في التحليل . وتكمن مهمة اللساني في تطبيق اجراءات معينة على لغة ما لاكتشاف الفونيمات ، والمورفيمات ، والوحدات الأخرى، لبناء قواعد دقيقة . اجراءات التحليل هذه سمّاها تشومسكي " إجراءات الاستكشاف " .وذهب إلى أنّ النظرية اللسانية لا ينبغي أن تُتخَذ على أساس أنّها سلسلة من الاجراءات النافعة ، كما لا ينبغي أن ننتظر منها أن تزوّدنا بإجراءات ميكانيكية لاكتشاف القواعد النحوية. وأضاف بأن هناك طرق تساعد اللّساني على التحليل منها الحدس والتخمين.

ينبني النحو التوليدي على القواعد (Rules) ، التي تعدّ جزءا من الجهاز الذي يولّد الجمل النحوية في اللغة ، وتختلف عن القواعد الموجودة في النحو التقليدي والنحو الوصفي ؛ فهي ليست معيارية (normative) تعنى بوصف اللغة كما ينبغي أن تكون ، وليست وصفية (Descriptive) تهتم بوصف اللغة كما هي مستعملة بغية ارساء التعميمات ، ولكنها تشبه القواعد المعيارية لأنّها عبارة عن تعليمات لتوليد كلّ الجمل الممكنة في اللغة ، وليس الجمل الصحيحة فقط . وتشبه القواعد الوصفية لأنّها تعتمد وقائع اللغات الفعلية ، وليس اللغات المبتكرة من قبل النحاة .

أطلق **تشومسكي** على قواعد النحو التوليدي اسم " قواعد إعادة الكتابة "، أي أنّها تكتب رمزا معينا مرة ثانية بشكل آخر ، أو تولّد من الرمز الواحد عدّة رموز .وعادة ما تبدأ القواعد التوليدية بالرمز (ج) الذي يمثّل الجملة ، وبعدها تعيد سلسلة من القواعد كتابة هذا الرمز والرموز المترتبة عنه إلى رموز أخرى ، حتى يتمّ توليد الجملة بأكملها.

3-5- متكلم / مستمع مثالي: يقصد تشومسكي بالمتكلم / المستمع المثالي الشخص الذي تطابق كفايته اللغوية إنجازه الكلامي، إنه متكلم / مستمع لا يخطئ، لا يسهى، لا ينسى، وهو الممثل للعشيرة اللغوية ومختزلها، وهو شخص غير متحقق واقعيا، بل مفترض.

3-6- الكليات اللغوية:

يعد هذا المفهوم، المرتكز الذي تستند عليه النظرية التوليدية، ذلك أن الهدف من الاتجاه التوليدي عامة – حسب تشومسكي – معرفة الآليات والعلاقات الجامعة والموحدة بين الأنحاء الخاصة والرابطة فيما بينها في إطار ما يسمى ب "النحو الكلي" الذي يفيد وجود علاقة أو علاقات وثوابت مشتركة بين جميع الأنحاء المختلفة، وقد قسم تشومسكي الكليات الكليات إلى: كليات مادية ديدنها معرفة السمات المشكلة المادة لوصف اللغات. وكليات شكلية تتعلق بأنماط وظواهر القواعد النحوية، وإمكانات ربطها حتى نتمكن من الوصول إلى الجملة النووية الحاوية للقاعدة النحوية المشتركة بين جميع الأنحاء.

4-نماذج التحليل النحوي عند تشومسكي :

وهي على التوالي : القواعد المحدودة الحالات ، والقواعد المركبيّة ، والقواعد التحويلية.

4-1-القواعد المحدودة الحالات: (نحو الحالات المحدودة Grammaires des constituants immédiats)، ويُطلقُ عليْه أيضاً " Grammaire à états finis " .

وهو من الأنحاء البدائية الأولى التي فحصها تشومسكي في الخمسينيات قبل أن يقترحَ بديلاً ليتجاوزَ به الأنحاء السائدَة: النحو التوزيعي ، النحو التقليدي ، النحو المبني على المنطق الأرسطي .

يُتصورُ الكلامُ من خلال نحو الحالات المحدودة، كالسلسلة المتوالية المكونة من حالات ، والحالة تتحدد بمقاطع السلسلة الكلامية، وتسمح كل حالة بمتابعة الكلام الملفوظ، في اتجاه معين، واتجاهات سير السلسلة الكلامية تتعدد وتحتمل تبعاً للمتكلم وما أتيحَ له من صيغ فرعية للسلسة الكلامية، ولكن أصول البنية الكلامية محدودة جدا : فعل فاعل مفعول أو مبتدأ وخبر، في اللغة العربية، وللمتكلم متسَع ضيق لتوسيع اتجاه السلسلة: مبتدأ+نعت، خبر+نعت+ ظرف زمان أو مكان أو جار ومجرور أو تمييز أو حال..... .

نحو الحالات المحدودَة نحوٌ يتصور الكلامَ سلسلةً مكونةً من عُقَد أو حلقات، وكل حلقة تُفضي إلى التي تَليها، وهذه الحلقاتُ أو العُقَد هي المكوناتُ الرئيسة للجُملَة. وليسَ للمتكلم إلا اتباع السلسلة بعُقَدها : الجملَة=اسم + اسم ، أوالجملة= فعل +اسم . والاختيار الوحيد هو أن يُلحقَ بالاسم اسماً آخَر هو النعت أو التوكيد أو الحال أو الظرف.. وقد سمي بالحالات المحدودَة لأنه حالات السلسة محدودة منهية سلَفاً.

وإنما أتى به تشومسكي على سبيل الطعن فيه والنقد له ،ليتجاوَزه إلى بناء أنموذج جديد يكون فيه المتكلم أكثر حرية في بناء الكلام ، وهو واحد من عشرات النماذج التي أتى بها ليدحضها بعد تمحيصها، وليتجاوَزَها ، ليس نحو الحالات المحدودَة فقَط ؛ بل كل الأنحاء الآلية المحدودَة القدرات التي تقيّد المتكلّم وتقيّد حريّة إبداعه للجمل ، وقَد عالَج تشومسكي هذه النماذجَ بشيء من التفصيل في كتابه : Syntactic Structures.

4-2- القواعد المركبيّة :تستطيع هذه القواعد أن تولّد من الجمل مالا تستطيع أن تولّده القواعد المحدودة الحالات .وتشبه القواعد المركّبية إلى حدّ بعيد طريقة التحليل إلى المكونات المباشرة وطريقة الإعراب التقليدية. غير أنّ تشومسكي أضفى عليها طابعا علميا باستعمال قواعد توليدية مبنية على الرياضيات والمنطق الرمزي .

أما شكل القواعد فهو:

- الجملة = مركّب اسمي + مركّب فعلي

- مركّب اسمي = أداة تعريف + اسم

- مركب فعلي= فعل + مركّب اسمي

- أداة التعريف = أل

- اسم = رجل، كرة..

- فعل= قذف، أخذ..

4-3-القواعد التحويلية.

ختام القول:

إذا كان هدف تشومسكي في البداية قد تركز مسعاه على توليد أكبر قدر من الجمل، من عدد محدد من القواعد عن طريق التحويل ، فإنه في الآونة الأخيرة ابتكر برنامجا جديدا أطلق عليه اسم "البرنامج الأدنوي"[1] ، القصد منه الابتعاد والنأي عن تلك التحويلات المعقدة، والاهتمام بتشكيل جمل بسيطة مشتركة بين جميع الأنحاء، وهذا إن دلّ فإنما يدلّ على العمق الرؤيوي للتوليديين ، وعلى أن هذا الاتجاه دائم التطور لا يريم.

مراجع المطبوعة:

1- أحمد مومن ، اللسانيات النشأة والتطور ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر.

2- الطيب دبة ،مبادئ اللسانيات البنيوية دراسة تحليلية ابستيمولوجية.

3- حافظ إسماعيلي علوي و امحمد الملاخ: قضايا إبستيمولوجية في اللسانيات، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 1، 2009.

4-عبد القادر الفاسي الفهري: اللسانيات واللغة العربية (نماذج تركيبية ودلالية)، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط 4، 2000.

[1] .إما البرنامج الأدنى أو برنامج الاختصار والاقتصار، أمّا ترجمته بالأدنوي فركيك جدا . ويُذكَرُ أنّ أصلَ هذا المذهب وُجِدَ في الفنّ التّجريديّ قبلَ أن ينتقلَ إلى الفكر وفلسفة اللغة، ثم نظرية النحو التّوليديّ، فمذهبُ القصر والاختصار حَركةٌ فنيّة ازدهَرَت في السّتّينيّات، في ظلّ المَدرسَة الفنية التّجريدية. وأهمّ ما يُميّزُها أنّها تَعْرضُ الأعمالَ الفنيةَ بأقلّ عَدد من العَناصر والألوان، وتعتمد عَلى الاقتصار والاختصار والتّبسيط وعلى حَذف الكَماليّات والفضلاتِ والتّفاصيل.
القَصْر والاختصارُ من المُصطلحاتِ التي تصلُحُ أن تَكونَ ترجمةً للكلمة اللّسانيّةِ الإنجليزيّة Minimalism ، [بدلاً من الترجمة العربية غير الصحيحة "الأدنوية"] والقَصرُ والاختصارُ برنامجٌ عامٌ -وليسَ مجرّدَ نظريّة- إنّه برنامجُ بحثٍ عامٍ يُمكنُ أن تستظلّ به النّظريّاتُ ولا تستأثر به نظريّة معيّنةٌ، Trans-theory Programm.
ويُميّزُ الباحثونَ اللّسانيّونَ بينَ الطّبيعةِ الوُجوديّة أو المَوضوعيّة "للقصرِ والاختصار" Ontological nature وبينَ الطّبيعةِ المنهجيّة Metodological nature لهذا المَفهوم. فالأوّلُ يُتوصّلُ به إلى معرفة موضوعِ الدّراسة، وهو اللغةُ بوصفها نسقاً مكتملاً مصمّماً على أفضلِ هيئةٍ لكي يتلقّاها المتلقّي ويقرأها القارئُ وفقَ القُدرةِ اللغويّةِ البشريّة.
أمّا الطّبيعةُ المنهجيّة لمَفْهومِ "القصرِ والاختصار" Minimalism فتتجلّى في اقْتراحِ مَبادئَ مستقلّةٍ، لاختصارِ الطّريقِ والاقتصارِ على الأيسرِ وتَلافي التّعقيدِ في البرهَنة والحَشوِ في العرض، اللذين تَحملُهما النّظريّاتُ، فلا بدَّ من البَحثِ عن المَبادئ والأساليبِ المَنهجيّة التي تَفحصُ الأفكارَ والنّظريّات التّفسيريّة لبنية اللغة البشريّة وكيفيّة اشتغالها في العَقل البشريّ.
راجع كتاب : اللسانيات التوليدية من التفسير إلى ما وراء التفسير ، شومسكي، ترجمة محمد الرحالي، نشر دار الكتاب الجديد، بيروت، 2013.